العرب
الإثنين 2021/10/04
السنة 44 العدد 12199

قواعد التيار السلفي في الجزائر تائهة بعد تصدع تيار المداخلة

تراكمات العلاقة مع السلطة تدفع إلى تمرد داخلي على القيادة التاريخية

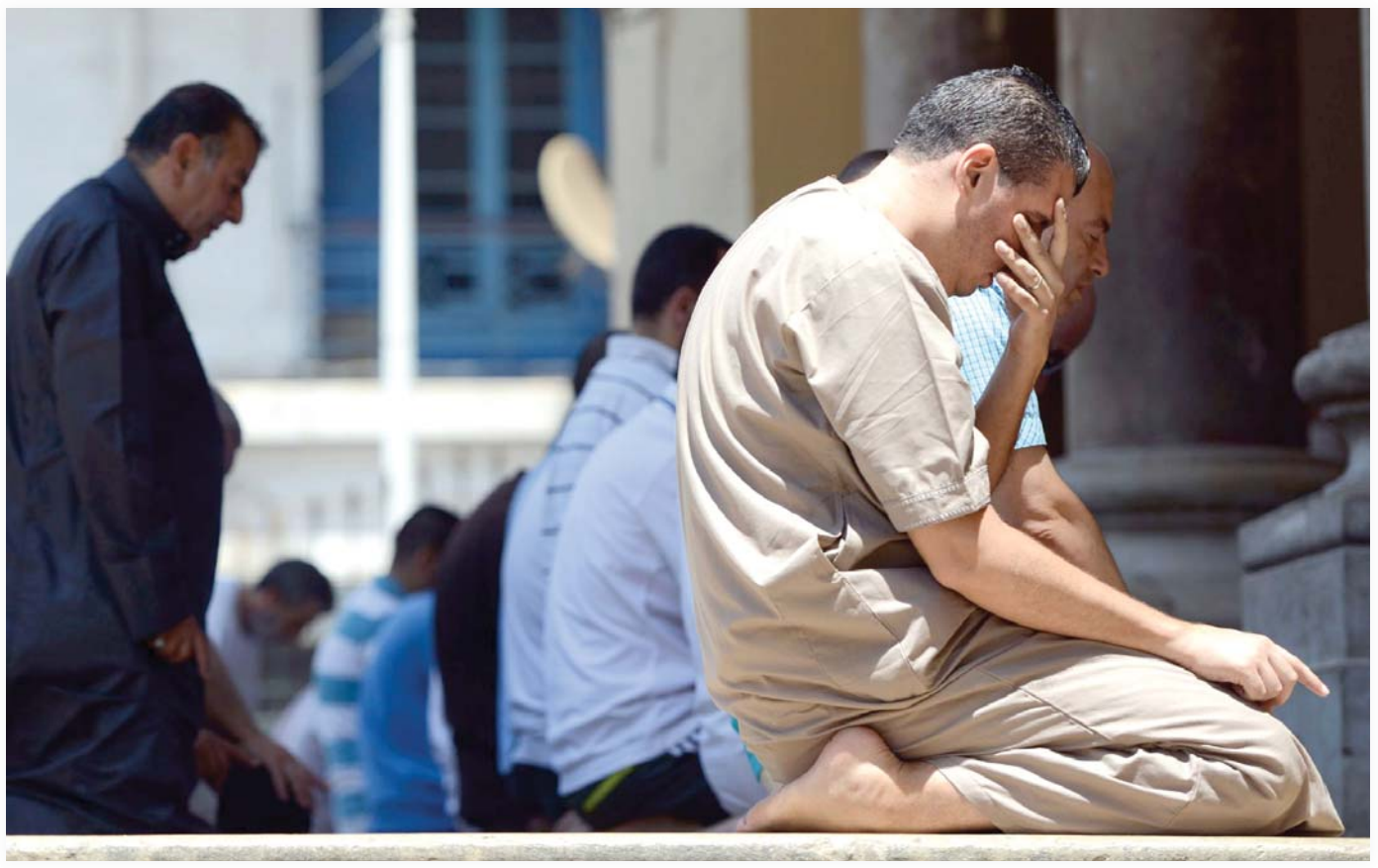

المساجد في مرمى الخلافات

الخلافات داخل تيار المداخلة تتفجر فجأة بعد هجوم مركّز على الرجل الأول في التيار محمد علي فركوس وسط شكوك بوقوف السلطة وراء هذا الخلاف بعد فتوى فركوس الرافضة للتباعد في الصلاة الذي أقرّته الوزارة خلال فترة كورونا، وهو ما يهدد ببداية خلاف مع تيار استفادت منه السلطة في صراعها مع خصومها الإخوان.

صابر بليدي
صحافي جزائري

الجزائر – رغم حالة الانغلاق التي يتسم بها التيار السلفي في الجزائر، إلا أن تقليد الانضباط والولاء الذي يبدو للمتابع من الخارج لا يحجب الخلافات المستجدة بين رموز المدخلية، ويبدو أن الوساطات التي بذلت في وقت سابق لإرساء التماسك الداخلي قد زال مفعولها بتجدد الصراع بين رمز التيار وبين عدد من معاونيهم، الأمر الذي يضع القواعد أمام منعرج مجهول ويهددها بالتشتت بين أجنحة أو تيارات دينية أخرى.

قرر الرجل الأول في التيار السلفي بالجزائر محمد علي فركوس مقاطعة أبرز معاونيه في التيار، وهما لزهر سنيقرة وعبدالمجيد جمعة، وإذ برر القرار بخلافات عملية ومنهجية، فإن الخلاف المستجد يعيد للأذهان سيناريو خلافات سابقة حول مسائل تتصل بمواقف واجتهادات بالغت في انعزال التيار وفي مهادنة السلطة، لاسيما فيما يتعلق بمطالب التغيير والتعدد.

وظلت فتاوى رمز التيار السلفي والأستاذ الجامعي محمد علي فركوس ومواقفه تشكل مرجعية أساسية لقطاع كبير من الإسلاميين، ينبذون النشاط الحزبي والاحتجاج السياسي، ولا يخاصمون الحكام، وهو ما تماهى مع رغبات السلطة طيلة عقود كاملة في الاطمئنان على مواقف الوعاء المذكور، وتوظيفه في كسر شوكة الإخوان وأحزاب الإسلام السياسي.

ويبدو أن مسألة الفتوى التي أصدرها الرجل بشأن إقرار وزارة الشؤون الدينية بالتزام التباعد في الصلوات هي القطرة التي أفاضت الكأس وفجّرت الخلاف المتراكم بين رموز التيار الذي لا يتوانى عن الحضور الديني في مختلف المحطات والأحداث التي تعرفها البلاد، بداية من أحداث الحراك الشعبي إلى غاية الاستحقاقات الانتخابية.

واتهم محمد علي فركوس في آخر بيان له رفاقه المقربين لزهر سنيقرة وعبدالمجيد جمعة بتنظيم هجوم عليه ونشر الإشاعات والأوصاف حول شخصه في أوساط المريدين والأنصار كقولهم بـ"المسحور" و"النفس الخارجي" و"الأحمق" و"لم يوافقه إلا المبتدعة"، وهو خطاب غير مسبوق في تاريخ أدبيات التيار رغم الخلافات الصامتة بين شيوخه.

وذكر في بيان له بأنه "من المعلوم أن طرق الدعوة تجري أحداثها في واقع حياة الناس وفق الأسباب والمسببات لا وفق القصود والنيات، ومن عهد غير بعيد مرت بهذه الديار الجزائرية خاصة عاصفة هوجاء وموجة عارمة كان سببها الاضطراب في وسائل الدعوة الحاصل من غير المتمكنين علما وخلقا ولا المؤهلين لميدانها، فانتفضوا على رموز الدعوة بالطعون وإيغار الصدور وإلصاق التهم".

> صراع ثلاثي من وراء ستار للسيطرة على الشأن الديني: السلطة والسلفيون والإخوان

وهو تلميح إلى ميلاد جيل جديد داخل التيار السلفي يريد التجديد أو المراجعة الداخلية، الأمر الذي يكون الرجل قد اعتبره تهديدا لنفوذه وسطوته على التيار السلفي، خاصة وأنه لا زال يحظى بتزكية المشيخة العالمية ودعمها، ويعتبر نفسه "العالم الديني الخارج عن النقد أو التقويم".

وهو ما أفصح عنه بالقول "صار التناكل بالدعوة وطلب المكانة والاستحواذ على القنوات المساندة لهم مطلقا في الحق، والباطل شيمة يعرفون بها، يثيرون بها الشبهات ويفترون الكذب في وجه الدعاة والدعوة، واتخذوا الرويبضة جندا لإذكاء نار العداوة والبغضاء".

وإذ فجّرت فتوى رفض صلاة التباعد التي أقرتها وزارة الشؤون الدينية من أجل الوقاية من خطر الإصابة بوباء كورونا، في إطار جملة الإجراءات الصحية المطبقة في البلاد، فإن فتاوى أو مواقف سابقة تجاه أحداث السنتين الأخيرتين قد أحرجت رموز التيار السلفي أمام الشارع الجزائري.

وكان محمد علي فركوس قد وقف بفتوى دينية ضد احتجاجات الحراك الشعبي بدعوى درء الفوضى وتفويت الفرصة على المخططات المغرضة، وتجنب المآلات التي تعيشها تجارب مماثلة، ويقصد بها ليبيا وسوريا واليمن، وهو ما شكّل أوّل تمرد على نفوذه المذهبي، حيث ظهر العديد من المحسوبين على السلفية في المظاهرات والاحتجاجات التي عاشتها العاصمة الجزائرية ومختلف المدن.

وجاءت فتوى الانتخابات الرئاسية التي انتظمت في ديسمبر 2019 لتزيد من عزلة التيار ومن امتعاض المحيطين به، بعدما ثبت أن دعوته إلى "التزام الجماعة" و"التحذير من دعوات الغرب للتمرد على الحكام"، و"توخي سبل الأمن والاستقرار"، و"عدم الانجرار وراء دعوات المقاطعة أو إفشال الاستحقاق الانتخابي"، وهي مبادئ ثبت عدم جدواها لا في إقناع الشارع ولا في تقديم خدمة للسلطة، بعدما اختارت الأغلبية من الجزائريين عدم الانتخابات.

> يتأكد من بيان علي فركوس بأن العلاقة بين التيار والسلطة لم تكن على وفاق رغم ما يظهر من توافق في المشهد الديني

وتأكد من بيان محمد علي فركوس بأن العلاقة بين التيار والسلطة لم تكن على وفاق رغم ما يظهر من توافق حول الأفكار والمبادئ المعروفة لدى السلفيين، وهو ما جاء في قوله "مسألة التباعد في الصلاة، التي كثر فيها الخوض والتسفيه إلى حد إخراج المسألة عن مسارها الفقهي الاجتهادي والولوج بها ضمن السائل المنهجية ومعارضو ذلك بوجوب طاعة وليّ الأمر من غير التفات إلى قيود طاعة وليّ الأمر، ومنها أن تكون في المعروف دون المعصية، ولم يفرّقوا بين طاعة وليّ الأمر مطلقا وبين مطلق الطاعة". وهو ما يوحي إلى أن القبول بالتباعد في الصلاة من عدمه، لا يستند إلى قاعدة فقهية، بقدر ما يعتبر امتدادا من قضية الموقف من قرار السلطة الحاكمة، ولأن الأمر لم يعد محل إجماع، فقد ظهر الخلاف على "صلاة التباعد وأبواب الطاعة للحاكم".

وفي ظل الخلافات المتجددة في بيت التيار السلفي تتجه الأنظار إلى مصير الوعاء الآخذ في التمدد خلال السنوات الأخيرة، غير أن التطورات التي عاشتها البلاد عصفت به إلى شتات موزع بين موال للرمز الأول محمد علي فركوس، وبين منخرط في معارض للسلطة ضمن فعاليات الحراك الشعبي، وبين من ارتمى في أحضان النمط الإخواني، بعدما تقدمت بعض الوجوه السلفية لخوض غمار الانتخابات التشريعية الأخيرة، ولا يستبعد أن تكون حاضرة في الانتخابات المحلية المقررة نهاية شهر نوفمبر المقبل.

واستطاع التيار السلفي أن يستقطب جمهورا معتبرا في الجزائر خاصة في أوساط الشباب، وتمكن من التمدد في العديد من المساجد والمؤسسات الدينية رغم حرص الحكومة على التحكم في القطاع الديني وتحييده عن التغلغل المذهبي والطائفي، كما استفاد من صمت السلطة في الاستحواذ على أروقة تجارية واقتصادية بحالها، لكن المستجدات الأخيرة في الهرم قد تكون بداية الانهيار للتيار السلفي كما انهار قبلهم الإخوان.

مؤتمر صلاح الدين.. الجهاد المشروع الوحيد للحركات الإسلامية

إسطنبول – عكست مداخلات رموز الإسلام السياسي في مؤتمر افتراضي عن صلاح الدين الأيوبي اغتراب التيارات الإسلامية عن حاضرها، وبحثها عن استعادة الماضي بأيّ شكل، من خلال الاحتفاء بصلاح الدين ومحاولة تنزيل شخصيته على واقع المسلمين بالرغم من اختلاف الوقت والظروف.

كما كشفت مداخلات شخصيات إسلامية بارزة في الدورة الثالثة لـ"ملتقى صلاح الدين الأيوبي الفكري الدولي"، الذي ينظمه معهد "صلاح الدين" البحثي بالتعاون مع حزب "الهدى" التركي، عبر تقنية الاتصال المرئي، عن محورية مفهوم الجهاد في ثقافة الإسلاميين وبصورته التقليدية الحرفية التي تعني الاستعداد المادي للحرب بقطع النظر عن موازين القوى من جهة، وعن حاجة الأمة إلى هذا الجهاد من عدمه، وهل أن الجهاد يقف فقط عند تفسير وحيد هو الحرب على الخصوم.

ودعا الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين علي القره داغي السبت الأمة الإسلامية إلى "دراسة منهجية التخطيط لدى صلاح الدين الأيوبي والمشي على نهجه".

وقال أمين عام أكبر مؤسسة إخوانية عربية إن الشعارين الأساسيين اللذين رفعهما صلاح الدين الأيوبي هما "من التوحيد إلى التحرير"، و"من الجهاد إلى الاجتهاد"، ما زالا شعاري المجاهدين والمقاومة حتى يومنا هذا، معتبرا أن الله أنزل في القرآن الاستخلاف بالتوارث لقضية الأرض المقدسة.

وبعيدا عن غموض المصطلحات التي لجأ إليها القره داغي وتناقض سياقاتها، فإن الملاحظ أن أمين عام الاتحاد الذي يمثل ذراعا رئيسية للإخوان المسلمين يعيد توظيف معادلة التوحيد والجهاد، وما تعنيه من تقسيم للتنوع البشري على أساس ديني، وتبرير الحرب على غير الموحدين واعتبار ذلك في سياق "التحرير" أو "المقاومة"، أي الجهاد.

وهذه الأرضية هي التي قادت كل التنظيمات الإسلامية الحديثة، عربيا وإسلاميا، إلى تنفيذ عمليات القتل والتفجير يستوي في ذلك المنتمون للإخوان المسلمين والمنتمون للقاعدة وداعش وكل المجموعات المتفرعة عن هذه الجماعات.

كما يثير جمع القره داغي بين الجهاد والاجتهاد، وأن الأول يفضي إلى الثاني، سؤالا عن طبيعة الاجتهاد الذي يكون نتاجا للمعارك والحروب، إذ كيف يمكن للاجتهاد الذي يؤسس لاختلاف التأويل واختلاف التجارب والانفتاح على الآخر أن يكون نتاج قيمة حربية تقوم في عمقها على نفي الآخر وإذلاله، وفرض ثقافة الغالب بدل الحوار الذي يفضي إلى التسامح والتنوع.

وبعد كلمة القره داغي التي مالت إلى الغموض، فإن مداخلات ممثلي حركتي الجهاد وحماس قد كشفت عن طبيعة تفكير الإسلاميين التي تحصر المشروع الفكري في "الجهاد" و"المقاومة" ويتكئ على نظرية المؤامرة لتبرير وجوده.

وأكد الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية زياد نخالة أن تجربة صلاح الدين ما زالت تصلح في خطوطها العامة لصياغة مشروع الأمة في تحرير القدس وفلسطين.

وأوضح نخالة أن "تجربة صلاح الدين تستحق التطبيق واستخلاص العبر منها لمواجهة المشروع الغربي"، وأن "حالة الانقسام والخلاف التي كانت تعيشها الأمة الإسلامية قبل تحرير القدس أغرت الفرنجة بانتزاع بيت المقدس، ومع ذلك نجح صلاح الدين في توحيد جهود الأمة، الأمر الذي يمنحنا الثقة أنه يمكن التغلب على مفردات الهزيمة وتوحيد جهود الأمة نحو تحرير القدس".

من جهته، قال رئيس حركة حماس في الخارج خالد مشعل، السبت، إن الكتائب والفصائل الفلسطينية تسير على خطى صلاح الدين الأيوبي للإسراع نحو الوصول إلى الحرية والتحرير.

وأضاف مشعل "سنعود إلى سيرتنا الأولى، العبرة ليست بالحديث عن الذكريات وإنما بالجهاد والمقاومة لأنهما الطريق الحقيقي للتحرير واستعادة الأوطان والمقدسات".

> القره داغي يعيد توظيف معادلة التوحيد والجهاد، وما تعنيه من تقسيم للتنوع البشري على أساس ديني ويعطي مشروعية للعنف

وتابع "الجهاد والمقاومة لهما متطلبات تتمثل في حشد القوة وتسخير الإمكانات، خاصة الأموال والسلاح وجميع مدخرات الدولة، وتوحيد الأمة من أجل المعركة الكبرى".

ويعقد ملتقى صلاح الدين ضمن خطة تركية لإعادة إحياء الرموز التاريخية الإسلامية وتوظيفها لخدمة أجندتها التوسعية. ويوظف الأتراك في هذا السياق حماس الحركات الإسلامية التي تبحث عن داعم خارجي وتردد ما يطلب منها وتنفذ الأجندات الخاصة بداعميها.

ومن المهم الإشارة إلى أن الجهاد فكرة مركزية في فكر الإسلام السياسي بحيث لا يمكن تجاوزها بمبدأ المراجعة الفكرية. ومركزية الجهاد هي التي جعلت الإخوان أكثر الجماعات الإسلامية قدرة على تكييفها مع التطورات السياسية منذ السبعينات، حيث جرى تأطير الفكرة الجهادية اجتماعيا وثقافيا بشكل سمح للإخوان بتجنب التورط المباشر أيديولوجيا وتنظيميا في معركة الجهاد.

لكنهم ظلوا على الدوام يمثلون الحاضنة الفكرية والروحية التي تخرجت منها أغلب التيارات المتشددة الأخرى، وأغلب قيادات هذا التيارات تربى في البيت الإخواني وتشبع بمفاهيم مثل الجهاد والفرقة الناجية وتكفير المجتمع ثم خرج عن الجماعة حين حاولت سلوك طريق يتناقض مع ما غرست فيه من قيم.

والفارق بين الإخوان والمتشددين الآخرين (التنظيمات الجهادية) هو بالتحديد "فارق الخبرة الذي يعطي للإخوان قدرة أفضل على قراءة المشهد بواقعية خوفا من الصدام، وخاصة من خلال مبدأ التقية للإيحاء للغرب الذي يتابعها بأنها جماعة غير عنيفة وعلى استعداد لأن تكون ضمن منظومة الديمقراطية، لكن التجارب أثبتت أن الإسلاميين يعودون إلى طبيعتهم الأولى كلما تم الضغط عليهم.

تناقض التأويل لشرعنة الجهاد